هليل بن ساسون *

الصهيونية، الدين والمسيانية التي بينهما - «جبل الهيكل» (الحرم القدسي) كحالة قصوى

أ. مدخل

تمثل مسألة العلاقة بين الصهيونية والمسيانية إحدى القضايا المركزية في دراسات المجتمع اليهودي في العصر الحديث، إذ شكلت ولا تزال بؤرة نقاش حيوي.[1] هذه العلاقة المركّبة بين المسيانية والصهيونية ليست مسألة نظرية فحسب، ذلك أن عودة أجزاء من الشعب اليهودي إلى المكان الذي يعتبرونه أرضهم الموعودة في الكتب المقدسة هي قضية تنعكس بصورة يومية في النقاش السياسي الإسرائيلي. ويرتبط هذا الوعي الاسترجاعي ارتباطا وثيقاً بالمسيانية. فصول جديدة متتالية تُكتَب، باستمرار كل الوقت، في منطقة التماس ما بين الفكرة المسيانية والفكرة الصهيونية، حتى أن مدى حضور المسيانية في إسرائيل في القرن الـ ٢١ من شأنه أن يبلور ويحدد المصير السياسي لدولة إسرائيل. وفي الواقع الراهن في منطقة الشرق الأوسط، حيث الأفكار الاسترجاعية عن الخلافة الإسلامية تستجمع قوة، رمزية وحقيقية على السواء، وفي ظل الواقع الذي يتجه فيه انتباه تيارات تنبؤية ترويعية من بين الجماعات المسيحية الإفنغالية إلى تعزيز ودفع النبوءة بشأن نهاية العالم، حيث يؤدي اليهود دوراً مأساويا وحيويا، يصبح مدى مسيانية الصهيونية مسألة حيوية حارقة ذات دلالات استراتيجية بالنسبة لمستقبل المنطقة.

ومثلما أنه ليست ثمة صهيونية واحدة، كذلك ليست ثمة مسيانية واحدة أيضا. وكما بيّن باحث الروحانيات غرشوم شالوم، فقد استُخدمت الفكرة المسيانية على مدى الأجيال عنواناً لعدد كبير ومتنوع من التيارات والطرائق التي تراوحت ما بين الكوني والقومي، بين الترويعي والمُسالِم،

* أكاديمي، متخصص في دراسة التيئولوجيا عامة وعلوم الديانة اليهودية.

التمرد الصهيوني ضد اليهودية التقليدية ـ الشتاتية كان منوطا بالتقرب إلى مقوّمات فاعلة ـ مسيانية جرى إخفاؤها، تحديدا، في قلب التقاليد عبر الأجيال. غير أن الخروج ضد السلبية الشتاتية التي كانت شائعة ومقبولة بين أوساط دينية مركزية لم يؤدّ، بصورة أتوماتيكية، إلى تبني المسيانية.

وبين الاسترجاعي واليوتوبيّ.[٢] حتى أن بعض هذه المعتقدات تناقض بعضها بعضاً.

في البحث أدناه، أود التشديد على المسيانية اليهودية في صيغتها القومية ـ الذاتية، خلافاً للصيغة الكونية. وفي إطار المسيانية القومية، أودّ التمييز بين نوعين من المسيانية. الأول، مسيانية «واسعة»، أشمل في داخلها المعتقدات التالية: العلاقة حيال الدولة بوصفها تحقيق الخلاص الديني الموعود وإخضاع العمل السياسي لدفع وتقريب الخلاص كقيمة عليا سامية. وتتميز المسيانية من هذا النوع بالسعي الدائم والحثيث لتعزيز وتغليب الطابع الديني في مؤسسات الدولة وفي حيّزها العام[٣] والتمييز بين قواعد العمل التي تنظم عائلة الشعوب بأسرها وبين قواعد العمل التي تنطبق على شعب إسرائيل. أما المسيانية من النوع الثاني فهي مسيانية «نحيفة» أشمل في داخلها، بالاستناد إلى غرشوم شالوم، المعتقدات التالية: «التحرر من عبء الشتات، ومن عبودية الممالك، تحرير الأمّة من عبوديتها».[٤] والمسيانية، بمفهومها هذا، تركز على الإنجازات مثل العودة إلى البلاد، السيادة السياسية، إحياء وتجديد اللغة والثقافة العبرية والملكية على الرموز القومية. وفي ما يلي، سأدّعي بأنه بينما منيت المسيانية الواسعة بالفشل، كبرنامج لمعسكر سياسي محدد، تغلغلت بعض جوانبها المركزية إلى قلب المسيانية «النحيفة» وباتت تنتشر وسط قطاعات واسعة من الجمهور في إسرائيل. ويقف في صلب تغلغل هذه المعتقدات، كما أدّعي، النقاش حول مكانة «جبل الهيكل» (الحرم القدسي) في تحقيق المشروع الصهيوني.

ب. بين التطبيع والفرادة الجديدة

كانت الصهيونية، بمعنيين أساسيين، حركة علمانية في ماهيتها. فقد كانت، أولاً، حركة قادتها نخبة من العلمانيين ونقشت بعض تياراتها على أعلامها شعار التمرد الصريح والمعلَن على أعباء التوراة والفرائض الدينية.[٥] وحتى بالنسبة لأولئك من بين الصهيونيين الذين لم يعلنوا تمردا صريحا ضد التوراة، كانت الهوية القومية التي رفعت الصهيونية لواءها وشعارها ترمي إلى طرح بديل عن نموذج الانتماء المعتمد، روتينيا، منذ خراب الهيكل الثاني ـ انتماء يتحقق من خلال الالتزام التام بنمط الحياة الديني. وثانيا، سعت القومية التي روّجتها الحركة الصهيونية إلى جعل اليهود قوة فاعلة ومؤثرة في التاريخ، تأخذ مصيرها بيديها ولا تنتظر الخلاص الإلهي من أجل إعادة شعب إسرائيل إلى أرضه. هذا التوجه النشط ـ الإنساني بدا في نظر زعماء حاخاميين كثيرين بمثابة نكث للقَسَم العتيق بعدم محاولة دفع الخلاص وتقريبه بصورة استباقية، أو «عدم الصعود إلى السور»، حسب التعبير الديني.[٦] أي أن التمرد الصهيوني ضد اليهودية التقليدية ـ الشتاتية كان منوطا بالتقرب إلى مقوّمات فاعلة ـ مسيانية جرى إخفاؤها، تحديدا، في قلب التقاليد عبر الأجيال. غير أن الخروج ضد السلبية الشتاتية التي كانت شائعة ومقبولة بين أوساط دينية مركزية لم يؤدّ، بصورة أتوماتيكية، إلى تبني المسيانية. ذلك أن هذه الفاعلية ذاتها انقسمت إلى تيارين اثنين.

التيار الأول لم ير ثمة رجاء في الوجود اليهودي في الشتات على ضوء تصاعد الملاحقات اللاسامية، حتى في الحقبة التي حظي فيها اليهود بحقوق فردية (التحرر) وطالبوا بالاندماج كمواطنين مخلصين ومنتجين في دولهم الأصلية. وبغية تمكين اليهود من العيش حياة طبيعية، كما قال مفكرون من التيار الأول، لم يكن ثمة مناص من إنشاء كيان سياسي يهودي لا يكونون فيه عُرضة للملاحقات ويستطيعون فيه بناء حياة من المشارَكة المدنية السليمة. بكلمات أخرى، إذا كان اليهود قد حُرموا من الاندماج في داخل دولهم كأفراد، فلا بد أن دولة كاملة متكاملة من اليهود ستكون قادرة على الاندماج كمجتمع كامل العضوية في عائلة الأمم، بسهولة أكبر. وقد كانت

على الصعيد العملي، أطلق على عملية شراء الأراضي من أصحابها العرب لغرض إقامة بلدات يهودية مصطلح «تخليص الأرض». وفي نهاية الأمر، كان بن غوريون، الذي دمج في شخصيته الفكر مع العمل العيني، هو الذي رأى في إنشاء دولة إسرائيل حدثا مسيانيا. وبكلماته هو: "شاء القدر أن يكون الحدث المسياني - وأنا أسمح لنفسي باستخدام هذا الوصف المثير للاحترام والفخر - بتجديد عهد الدولة اليهودية».

هذه، بالمختصر، نبوءة هرتسل، المفكر الصهيوني، وغايته. صحيح أن هرتسل أحسنَ تسخير قوة الأسطورة بشأن عودة صهيون لخدمة مشروعه السياسي، لكنه كان يطمح إلى إنشاء كيان يكون شبيها بفيينا الليبرالية التي عاصرها.[٧] هكذا، مثلا، تتم إقامة معبد الهيكل، الذي يتخيله هرتسل في روايته الخيالية المشهورة «ألتنويلاند"، في البلدة الجديدة من القدس، وليس في البلدة القديمة، وإلى جواره مركز لتسوية النزاعات بين الدول يدعى "قصر السلام". وقد كانت هذه، أيضا، وجهة نظر ليو بينسكر، المفكر الصهيوني السابق والمؤثر بدرجة ليست أقل، إذ كتب:

"اليهود هم، في حقيقة الأمر، عنصر متميز فريد من نوعه بين الشعوب التي يعيشون بين ظهرانيها، عنصر غير مؤهل للذوبان في ذاتية وماهية أية أمة أخرى، ومن هنا فليست ثمة أمة قادرة على تحمله في داخلها بهدوء واستكانة. والأمر المطلوب، إذن، هو إيجاد وسيلة يمكن بواسطتها تأهيل ذلك العنصر المختلف والمتميز للانخراط في عائلة الشعوب على نحو قد يسحب البساط من تحت أقدام المسألة اليهودية، إلى الأبد... الدواء الصحيح والوحيد هو - خلق أمّة يهودية، شعب مستغرق على أرضه، التحرر الذاتي لليهود، مساواة مكانتهم كأمّة بين الأمم بواسطة امتلاك بلاد خاصة لهم».

لكن هرتسل وبينسكر كانا أقلية داخل أقلية. الغالبية الساحقة من مفكري الصهيونية، بمن فيهم الآباء الفعليون لدولة إسرائيل أيضا، مثل بن غوريون وآخرين، صهرت في داخل المشروع القومي المتجدد ليس فقط تطلعات الإصلاح العملية والبراغماتية لتحسين وضع اليهود المادي في الشتات، وإنما أيضًا تطلعات التجدد الثقافي والروحاني التي كانت تنبض بين ثناياها مشاعر مثالية ومسيانية قوية جدا، من جانب المسيانية «النحيفة».[٨] إحاد هعام، وغوردون ، ودافيد بن غوريون بالطبع، وإلى جانبهم مفكرون ونشطاء كثيرون صبّوا في داخل المشروع الصهيوني وقوداً فكريا مصدره الدين وتطلعاته.[٩] هكذا، مثلا، إلى جانب الرفض القاطع من جانب قادة الييشوف للتراث اليهودي «الشتاتيّ"، وفي مقدمته تدريس الشريعة والتلمود، تحولت التوراة إلى مهنة تعليم في مراكز الجهاز التعليمي الصهيوني، ولا تزال كذلك حتى يومنا هذا. كانت التوراة "الطريقة المباشرة، دون وساطة، لإكساب الشباب حب الوطن والشعور بالانتماء إليه، ثم في أعقابهما - الشعور بالسيادة على البلاد".[١٠]

حتى سنوات الستين من القرن الـ ٢٠، تشكلت الخارطة السياسية ليهود إسرائيل من أربعة تيارات مركزية - الصهيونية الاشتراكية التي مثلتها حركة «العمل»؛ الصهيونية التنقيحية على رأسها حركة «حيروت» (التي تحولت لاحقا إلى حزب «ليكود»)؛ الصهيونية الدينية؛ واليهودية الحريدية. وكما سنرى على الفور، كان التياران الأولان، تحديدا، الميّالَين إلى المسيانية («النحيفة»)، بينما حافظ التياران الآخران على التقاليد الدينية المحافِظة التي نأت، بدرجات متغيرة، عن المسيانية. لكن هذه الصورة اختلفت بصورة دراماتيكية حادة في أعقاب حرب الأيام الستة.

ت. الصهيونية، الدين والمسيانية - المرحلة الأولى

حتى العام ١٩٦٧، كانت الصهيونية العلمانية - من اليسار ومن اليمين، على حد سواء - هي التي تجرّ القاطرة المسيانية. من اليمين، برزت اللغة المسيانية بمفهومها الواسع في أعمال ونتاجات مفكرين كثيرين على غرار الشاعر أوري تسفي غرينبرغ، الذي كتب قصائد عن قصة ربط إسحق (التي حصلت على «جبل الهيكل»، طبقا للموروث الديني اليهودي)، يحلم في مركزها بتجديد معبد الهيكل في موقعه الأصلي، إلى جانب طقوس العبادات كما في

وعلى عكس الهجوم الذي شنّته جهات دينية كانت تعتبر الهيمنة العلمانية عطباً جوهريا في الصهيونية، كان الحاخام راينس يعتبر أن ميزة الصهيونية وأفضليتها تكمن في أنها تستطيع تقريب البعيدين، بل ووضع حد للاختلاط.

الأزمان السالفة.[11] كما عبّر عن مشاعر مماثلة، أيضا، كل من آبا أحيمئير، يسرائيل إلداد ومناحيم بيغن، إلى حد ما.[12]

بين اليسار، كانت المسيانية «النحيفة» هي المسيطرة. النقاش الجماهيري العام (في الصهيونية عموما، وفي حركة العمل، خصوصا) كان مشبَعاً بروايات مختلفة أرادت الدمج بين اليوتوبيات الاشتراكية وبين القومية اليهودية. هكذا، مثلا، يمجد إحاد هعام الـ»مسيانيين"، الذين هم الصهيونيون والاشتراكيون الديمقراطيون، ويدعو إلى «الغيرة منهم، من هؤلاء السعداء».[13] أما بيرل كتسنلسون، المفكر المركزي في حركة العمل والصديق المقرب لبن غوريون، فقد أطنب في التعبير عن الصهيونية الطلائعية بلغة دينية مسيانية، فقال: "يختلج في قلبي شعور بأن النبوءة لم تتبدد، أمل الانكشاف والسكينة لم يفارقنا بعد. في بداية ظهور الصهيونية، وحتى قبل أن تصبح "موجودة"، "حركة"، تكشفت فيها شظايا ومضات من نبوءة الشعب. قبل طلوع الفجر، التمعت أضواء ساطعة، صافرات الخلاص، ترقب وتبشر. وما زال في قلبي إيمان بأنه بالنبي الحق خلاصنا».[14]

على الصعيد العملي، أطلق على عملية شراء الأراضي من أصحابها العرب لغرض إقامة بلدات يهودية مصطلح «تخليص الأرض». وفي نهاية الأمر، كان بن غوريون، الذي دمج في شخصيته الفكر مع العمل العيني، هو الذي رأى في إنشاء دولة إسرائيل حدثا مسيانيا. وبكلماته هو: "شاء القدر أن يكون الحدث المسياني ـ وأنا أسمح لنفسي باستخدام هذا الوصف المثير للاحترام والفخر ـ بتجديد عهد الدولة اليهودية».[15] وقد حرصت مسيانية أوساط اليسار الصهيوني على استئصال مكانة الربّ من صورة الخلاص الخاصة بها، وبذلت جهودا كبيرة لشحن المصطلحات الدينية التي استخدمتها بمضامين علمانية وحديثة. ولهذا، لم يلتزم مفكروها ومربّوها بالأفكار والمعتقدات الملكوتية المعادية

احتلال شرقي القدس: دفعة مسيانية كبيرة.

للديمقراطية وبنبوءات إقامة معبد الهيكل، التي كانت شائعة لدى أوساط اليمين. ومع ذلك، برز حضور الخطاب المسياني ـ بصيغته المُعَلمنة ـ لدى التيار المركزي في اليسار الصهيوني، أيضا، على مدى سنوات طوال.

في المقابل، في تلك السنوات ذاتها، كان التيار المهيمن على الصهيونية الدينية تيار طالب، بالذات، بالفصل بين المشروع الصهيوني وتطلعات الخلاص الدينية، وسار على خطى مؤسس حزب «همزراحي"، الحاخام إسحق يعقوب راينس. كان الحاخام راينس (١٨٣٩ ـ ١٩١٥) يُعتبر في حياته مرجعية توارتية خالصة، بل وأسس مدرسة دينية (يشيفاه) أسماها «التوراة والعلم» دمجت تعليما علمانيا في إطار التدريس الديني. وبعد انضمامه مندوباً إلى المؤتمر الصهيوني الثالث في العام ١٨٩٩، أسس الحاخام راينس في العام ١٩٠٢ حزب «همزراحي" الذي ضمّ بين صفوفه

حتى العام ١٩٦٧، كانت حلقة تلامذة الحاخام أبراهام إسحق هكوهين كوك، الأب الروحي للصهيونية الدينية المسيانية، ضيقة وعديمة التأثير. ولكن، بعد الحرب إياها في ذلك العام، أخذت أفكاره تجتذب الدعم والتأييد. وقد كان في نتائج حرب الأيام الستة نوع من البرهان على أن إقامة الدولة تمثل، حقا، بداية سيرورة خلاص إلهي وأن هذه السيرورة تتقدم بخطوات هائلة مع احتلال مناطق واسعة من البلاد، وفي قلبها مدينة القدس.

المندوبين المتدينين المختلفين الذين كانوا انضموا، قبل ذلك بوقت قصير، إلى الحركة الصهيونية الفتية. وقد رأى راينس في القومية ميزة إيجابية تتعلق بالأمم وكان أشد حزماً في الموقف حيال الصهيونية نفسها. فقد كانت الصهيونية، من وجهة نظره، حركة منذورة لإحياء العلاقة بين شعب إسرائيل وبلاده الموعودة وبكونها كذلك، فهي حركة منذورة لفكرة مقدسة.[١٦] وزيادة على هذا، تدفع الحركة الصهيونية اليهود الذين على شفا الاختلاط، من أمثال هرتسل وآخرين، إلى تكريس كل جهودهم وطاقاتهم من أجل شعب إسرائيل ورفاهيته المادية. وعلى عكس الهجوم الذي شنّته جهات دينية كانت تعتبر الهيمنة العلمانية عطباً جوهريا في الصهيونية، كان الحاخام راينس يعتبر أن ميزة الصهيونية وأفضليتها تكمن في أنها تستطيع تقريب البعيدين، بل ووضع حد للاختلاط.[١٧]

أمّا فيما يخص المكانة المسيانية للصهيونية، فيوضح الحاخام راينس موقفه في موقع آخر ويقول:

> وبعد أن لم تعد هذه الفكرة [الصهيونية] موضوعا من قبيل فكرة الخلاص، ولا علاقة لها بأي شيء يرتبط بها، وما هي إلا محاولة لتحسين الوضع المادي للأمة ومن أجل إعلاء شأنها باحترام.... ذلك أن مثل هذه هي من المحاولات المرغوبة والمطلوبة جدا والمتلائمة مع طرق التوراة، وعلى مدى تاريخ شتاتنا لم يتوان أخيار شعبنا، عظماؤه أو أنصاره عن العمل من أجل إسرائيل بمحاولات كهذه، وقت الحاجة.[١٨]

وعليه، فالصهونية، بمنظور الحاخام راينس، ليست مشروعا معداً لدفع وتقريب الخلاص الإلهي. ذلك أن هذا الخلاص هو بيد الرب وحده لا غير. وأكثر من هذا، حتى لو كان في الإمكان إيجاد وسوق مبررات دينية للشراكة مع الصهيونيين العلمانيين، فإن ثمار المشروع الصهيوني هي ثمار علمانية خالصة، لأن طموح الصهيونية يتلخص في إنشاء نظام يضمن لليهود وضعا ماديا مُحسَّناً، بصيغة الأمان والحماية من الملاحقات والحياة الكريمة.[١٩] في تلك العقود، تميزت الصهيونية الدينية بتوجهات اقتصادية اشتراكية، بمواقف سياسية حمائمية وبالفصل بين المرجعيات الدينية (الحاخامية) وبين العمل السياسي.[٢٠] لكن هذه الوجهة انقلبت رأسا على عقب، في أعقاب حرب الأيام الستة.

وطبقا للتشخيص الصحيح الذي وضعه أمنون راز كركوتسكين، كان ذلك لقاء بين الجذور التقليدية للأسطورة المسيانية وبين الواقع العيني، المادي، الذي خلقته الصهيونية، وهو (اللقاء) الذي شكل أرضا خصبة لظهور وتنامي تحليلات راديكالية وخطيرة للأسطورة المسيانية. وبكلماته: «الصهيونية العلمانية هي التي تهيئ الأرضية للمسيانية التي تتحفظ منها».[٢١]

ث. الصهيونية، الدين والمسيانية ـ المرحلة الثانية

مقابل وجهة نظر الحاخام راينس، التي امتنعت عن منح المشروع الصهيوني وثماره قيمة دينية كبيرة وتركزت في الشراكة السياسية بين الصهيونية الدينية المتشكلة والمشروع الصهيوني برمّته، تبرز وجهة نظر أخرى، ممثلها الأبرز والأكثر تأثيرا هو الحاخام أبراهام إسحق هكوهين كوك. هاجر الحاخام كوك (١٨٦٥ ـ ١٩٣٥) إلى «ارض إسرائيل» (فلسطين التاريخية– التحرير) في العام ١٩٠٤ وعُيّن حاخاما أكبر لمدينة يافا. في العام ١٩٢١، أصبح الحاخام كوك الحاخام الأكبر الأشكنازي الأول لـ «أرض إسرائيل". وفي العام ١٩٢٤، أقام الحاخام كوك المدرسة الدينية (يِشيفاه) المركزية العالمية التي أصبحت تعرف لاحقا باسم "مركز الراب" ("مركز الحاخام").وقد أصبحت هذه "اليشيفاه" موطناً ومنشأ فكرياً لكثيرين من زعماء الصهيونية الدينية منذ الستينات فصاعدا، وأصبحت، على نحو بارز، مهد نشأة حركة «غوش إيمونيم" الاستيطانية.

يتميز الفكر الحزبي ـ السياسي للحاخام كوك بلهجة صوفية

وقد أحسن رؤساء الصهيونية الدينية المسيانية استغلال حالة الإعياء والوهن الفكري والسياسي في الصهيونية العلمانية، وبعد عقود من العمل الصبور الذي كان مدعَّماً بالحماس الإيديولوجي، أصبحت الصهيونية الدينية اليوم التيار الأكثر تأثيراً على القيادة السياسية في دولة إسرائيل. ومع ذلك، منيت الرؤية المسيانية في داخل الصهيونية الدينية بنكسات وهزائم ثقيلة، على الصعيدين السياسي واللاهوتي على حد سواء.

خالصة ترى في الواقع الملموس مقدمة لسيرورات روحانية وإلهية. وطبقا لذلك، فإن قيمة الحركة الصهيونية في نظر الحاخام كوك هي أكبر بكثير من مجرد التحسين المادي الذي تسعى إلى تحقيقه للجماعات اليهودية المختلفة.

حتى العام ١٩٦٧، كانت حلقة تلامذة الحاخام أبراهام إسحق هكوهين كوك، الأب الروحي للصهيونية الدينية المسيانية، ضيقة وعديمة التأثير. ولكن، بعد الحرب إياها في ذلك العام، أخذت أفكاره تجتذب الدعم والتأييد. وقد كان في نتائج حرب الأيام الستة نوع من البرهان على أن إقامة الدولة تمثل، حقا، بداية سيرورة خلاص إلهي وأن هذه السيرورة تتقدم بخطوات هائلة مع احتلال مناطق واسعة من البلاد، وفي قلبها مدينة القدس. وحتى بدون شخصية المسيح العيني، كان أعضاء وأنصار «مركز الراب» وحركة «غوش إيمونيم" واثقين من أن المزاوجة بين شعب إسرائيل وأرض إسرائيل الموسعة قد شكلت بداية عهد الخلاص.

على غرار نهج الصهيونية العلمانية النشط في بداياتها، كان أعضاء «غوش إيمونيم" وأنصارهم يعتقدون بأن الخلاص الإلهي، الذي تمثل دولة إسرائيل بدايته، ليس خلاصاً يؤدي الإنسان في إطاره دورا سلبيًا (خاملا) يقتصر على انتظار الوحي الإلهي وفعله. فقد كانت المسيانية الصهيونية الدينية تعتقد بأن أعمال المؤمنين اليهود في البلاد تؤثر على الإلوهية ذاتها، تعززها وتدفع نحو الخلاص الشامل. وقد عبر عن ذلك حنان بورات، أحد قادة حركة الاستيطان المسيانية، بقوله: «حقا، ثمة واقع آخر ليس أقل، بل ربما أكثر، حقيقية. إنها أرض إسرائيل التي فوق، سياسة الخالق، وهي ـ في الحقيقة ـ واقع الخلاص، في زماننا، في دولتنا».[٢٢]

هكذا، أصبح الاستيطان في أرض إسرائيل الكاملة، وخاصة في الأجزاء التي تم احتلالها في حرب الأيام الستة في يهودا والسامرة،

الحاخام ليفنغر وبورات في احتفالية لغوش ايمونيم بعد اقرار المستوطنة الأولى في قدوميم.

برنامجا سياسيا يحقق نبوءة مسيانية. وفي الوقت ذاته، بقي "جبل الهيكل" وإقامة معبد الهيكل خارج خطة التنفيذ العملي، واتُخذ حيالهما موقف ديني متحفظ، يتميز بالسلبية النسبية.

تُرجم هذا التغيير اللاهوتي، تدريجيا، إلى تغيير في نظرة وتوجه القيادات الصهيونية الدينية إلى المحافل السلطوية العلمانية في إسرائيل. وفي حين كانت قيادة شبيرا، أونا، بورغ وفيرهافتيغ (قادة الصهيونية الدينية خلال العقود الأولى بعد قيام دولة إسرائيل) تتميّز بالرغبة في حماية حقوق جمهورهم كأقلية، على أساس نموذج من الشراكة مع حركة العمل، فقد ولّد تعاظم قوة حركة «غوش إيمونيم" نمط تفكير جديداً.[٢٣]

وخلافا لجيل السياسيين الشتاتيّ الذي تصدر، حتى ذلك الحين، قيادة حزب «المفدال"، اعتبر القادة الشبان من أوساط غوش إيمونيم أنفسهم جيلاً جديدا من الطلائعيين[٢٤] الذين يجددون ليس فقط قيم الحركة الصهيونية الأصلية، وإنما تحقيق نبوءتها بصورة

خلال السنوات الأخيرة، تعاظمت قوة الصهيونية الدينية حقا، لكن السيطرة الفكرية المسيانية تقلصت في داخل الصهيونية الدينية وفي النقاش الجماهيري العام، أيضا. ولكن، على الرغم من تراجع المسيانية الواسعة كتيار فكري ـ سياسي خالص، حظيت بعض أفكارها المركزية بالقبول من جانب عناصر يمينية كانت تنتمي، تقليديا، للمسيانية «النحيفة».

فعلية أيضا. وقد سعت القيادة الصاعدة في الصهيونية الدينية إلى تجديد وجه الصهيونية، لأن هذه قد بلغت حالة من «الارتباك وفقدان الإيمان بمجرد أهداف الفكرة الصهيونية وأخلاقيتها».[٢٥]

كلما ازداد الحماس المسياني لدى الصهيونية العلمانية خبواً، إذن، وكلما تعزز الطموح ببناء مجتمع في إسرائيل يتطلع إلى التطبيع، تمت تهيئة الظروف لتعاظم الصهيونية الدينية بصيغتها المسيانية. وقد أحسن رؤساء الصهيونية الدينية المسيانية استغلال حالة الإعياء والوهن الفكري والسياسي في الصهيونية العلمانية، وبعد عقود من العمل الصبور الذي كان مدعَّماً بالحماس الإيديولوجي، أصبحت الصهيونية الدينية اليوم التيار الأكثر تأثيراً على القيادة السياسية في دولة إسرائيل. ومع ذلك، منيت الرؤية المسيانية في داخل الصهيونية الدينية بنكسات وهزائم ثقيلة، على الصعيدين السياسي واللاهوتي على حد سواء. على الصعيد السياسي، لم يفلح اليمين المسياني في كسب الشعبية التي حاز عليها الطلائعيون في الماضي ولم يفلح في موقعة نفسه كجزء عضوي وحيّ من التيار المركزي الإسرائيلي. وهو الأمر الذي عبر عنه يوئيل بن نون، أحد مؤسسي «غوش إيمونيم" بقوله: "نجحت حركة غوش إيمونيم في إقامة مستوطنات عديدة تشكل مدعاة للفخر ومثالا يحتذى، لكنها أخفت تماما في البُعد الروحاني الذي فاخرت به، بالذات، أي: الاستيطان في القلوب، تقريب أخوتنا ـ خصومنا، التخفيف من معارضتهم، إقناعهم... وعلى أي حال، أصبح المشروع الاستيطاني برمّته نجاحاً مادياً ـ فيزياً مذهلا، يقضي على نفسه بميله غير المتوازن، العنيف، العدواني، المادي، حدّ الوحشية تماماً».[٢٦]

على الصعيد اللاهوتي، تلقى البرنامج المسياني ضربة قاصمة حينما أثبتت اتفاقيات أوسلو، ثم خطة الانفصال التي قادها أريئيل شارون، أن الخلاص الإلهي لا يتقدم كما توقع له قادة التيار المسياني، فأرض إسرائيل لا تكبر ولا تتوسع بل تصغر وتضيق، المستوطنات يتم إخلاؤها، وحكومة إسرائيل لا تمثل ما كان يُفترض أن يكون، في نظرهم، الإرادة الإلهية.

خلال السنوات الأخيرة، تعاظمت قوة الصهيونية الدينية حقا، لكن السيطرة الفكرية المسيانية تقلصت في داخل الصهيونية الدينية وفي النقاش الجماهيري العام، أيضا. ولكن، على الرغم من تراجع المسيانية الواسعة كتيار فكري ـ سياسي خالص، حظيت بعض أفكارها المركزية بالقبول من جانب عناصر يمينية كانت تنتمي، تقليديا، للمسيانية «النحيفة». وتجتهد هذه العناصر، بكل قوة، من أجل نقل هذه الأفكار ونشرها بين التيار المركزي في الجمهور اليهودي الإسرائيلي. وتشمل هذه الأفكار وجهة النظر القائلة بأنه تسري على شعب إسرائيل قواعد أخرى تختلف عن تلك التي تسري على الشعوب الأخرى، كما تشمل الاهتمام المتجدد بـ «جبل الهيكل"، وهو اهتمام تجنّبه حتى قادة المستوطنين المسيانيين على مدى السنوات الطويلة.

ج. نقطة التلاشي للصهيونية والمسيانية

يعرض أمنون راز كركوتسكين، بلغة حادة، مسألة تسلل الفكر المسياني في الصهيونية العلمانية:

القومية التي اعتبرت نفسها، بين أشياء أخرى، علمنَة للوجود اليهودي، لم تتجسد في إنتاج هوية يهودية منفصلة عن الدين، وإنما كانت بمثابة تفسير للدين وللمبدأ المسياني. وما عُرّف بأنه "علمنة" كان بمثابة تأميم الأسطورة المسيانية ووصفها بأنها أسطورة قومية. وقد تم إقصاء الرب عن اللغة، ظاهريا، لكن الوعد الإلهي بقي يشكل مصدر الشرعية لمشروع الاستيطان والاستيلاء على البلاد.[٢٧]

وكما أشرنا آنفا، فقد رأت بعض العناصر في اليمين الإسرائيلي العلماني، منذ العام ١٩٤١، أن تحقيق النبوءة الصهيونية النهائي يتمثل في «بناء الهيكل الثالث كرمز للخلاص التام».

تغلغلت هذه النبوءة في السنوات الأخيرة، إلى التيار المركزي في اليمين السياسي أيضا. ينعكس هذا التغلغل في تصريحات متكررة من جانب سياسيين من اليمين حول الحاجة إلى تعزيز السيادة الإسرائيلية على "جبل الهيكل"،

في إطار عملية تأميم الأسطورة المسيانية، كما يبيّن راز كركوتسكين، أُقصِي، أُخفِي أو «نُسي» مبدأ مركزي واحد من نبوءة الخلاص والمسيانية التقليدية، وهو نبوءة معبد الهيكل. هكذا، أنشأت الصهيونية العلمانية، برأيه، إطارا مسيانيا كاملا تتوفر فيه جميع أجزاء لعبة التركيب «البازل" الخاصة بالأسطورة المسيانية في قلب الوجدان القومي الإسرائيلي، باستثناء معبد الهيكل الذي «ظل عدم وجوده مسألة غير محلولة، استنادا إلى اعتبارات «براغماتية» وليس إلى موقف تاريخي مبدئي».[٢٨] في مثل هذه الحالة، يدّعي / يلمح راز كركوتسكين أنه ليس من المستبعد أن يعجز شخص ما أو مجموعة ما عن مقاومة الإغراء فيصرّ/ ون على تفجير مسجديّ عمر والأقصى، من أجل إتمام لعبة البازل المسياني التي تريّوا عليها ويسيرون على هديها. وبالفعل، فمنذ نشر مقال كركوتسكين هذا، يتعزز ويتعمق باستمرار موقع "جبل الهيكل" في النقاش السياسي الإسرائيلي العام، حتى أصبحت المنطقة المقدسة، خلال السنوات الأخيرة، عامل الاحتكاك الإسرائيلي - الفلسطيني الأول والأكثر أهمية، ويصعب جدا الفصل فيه بين الديني والقومي.[٢٩]

وكما أشرنا آنفا، فقد رأت بعض العناصر في اليمين الإسرائيلي العلماني، منذ العام ١٩٤١، أن تحقيق النبوءة الصهيونية النهائي يتمثل في «بناء الهيكل الثالث كرمز للخلاص التام».[٣٠]

تغلغلت هذه النبوءة في السنوات الأخيرة، إلى التيار المركزي في اليمين السياسي أيضا. ينعكس هذا التغلغل في تصريحات متكررة من جانب سياسيين من اليمين حول الحاجة إلى تعزيز السيادة الإسرائيلية على "جبل الهيكل"، زيارات استفزازية يقوم بها وزراء كبار إلى "جبل الهيكل"، بما في ذلك تنظيم البعض منهم صلوات محازية، إلى جانب تعاظم دور ومكانة نشطاء المعبد وأمناء "جبل الهيكل" في وسائل الاتصال وفي أوساط صناع القرار. وبالفعل، ثمة أصوات عديدة تصدر عن متحدثين من اليمين تطالب بتعزيز السيادة الإسرائيلية على "جبل الهيكل". من موشيه فيغلين وحتى ميري ريغف، يتكرر الادعاء بأن استقلال إسرائيل وسيادتها سيظلان منقوصين طالما لم تفرض إسرائيل سيادتها التامة والكاملة على «جبل الهيكل». وقد أوجزت نائبة وزير الخارجية، تسيبي حوطوبيلي، هذا الشعور بتشبيه جيد للغاية حينما صرّحت بأن حلمها أن ترى علم إسرائيل يرفرف فوق "جبل الهيكل". في الظاهر، لا شيء أكثر طبيعية من هذا. ما دمنا نعلن أن "جبل الهيكل بين أيدينا"، فليكن بين أيدينا حقاً وفعلاً.

ما من شك في أن «جبل الهيكل» هو رمز ديني وتاريخي في التراث اليهودي. لكن الرمز ليس معادلاً مطابقا للسيادة. ومثل حركات أخرى من اليمين الراديكالي في الغرب، كذلك وضع اليمين الراديكالي الإسرائيلي جل تركيزه، غير مرة، في تنمية الأساطير والرموز القومية بصورة حثيثة، على حساب تجاهل مكتسبات عينية وإخراج سياسة حقيقية إلى حيز التنفيذ[٣١]. في الحالة الراهنة، حيث يتصاعد النقاش حول "جبل الهيكل"، يبرز بشكل خاص التمحور في حوار الرموز والأساطير بين القادة السياسيين من اليمين، وذلك، بالذات، على خلفية التصريحات والسياسات البراغماتية التي يعتمدها ممثلو الجمهور[٣٢]. ولكن وجهة النظر التي تعتبر "جبل الهيكل" مصدرا للسيادة - وهي وجهة نظر تجسد في المقام الأول، ظاهريا، القاعدة المسيانية «النحيفة» المختبئة في أسس الصهيونية - هي (وجهة النظر) التي تنطوي، بالذات، على ضعف عميق.

ذلك أن الذين يعتبرون «جبل الهيكل» شرطاً لتحقيق سيادة دولة إسرائيل بوجه عام ينكرون ليس فقط نجاح المشروع الصهيوني الباهر في إقامة دولة يهودية سيادية، وإنما ينفون أيضا جميع الإنجازات التي رافقت هذا الإنجاز وترتبت عنه، وذلك باسم نبوءة مسيانية واسعة، على نحو متطرف. فالسيادة هي قدرة الإنسان، أو المجموعة، على تقرير مصيره بنفسه. السيادة الدولتية تتأسس

الذين يعتبرون «جبل الهيكل» شرطاً لتحقيق سيادة دولة إسرائيل بوجه عام ينكرون ليس فقط نجاح المشروع الصهيوني الباهر في إقامة دولة يهودية سيادية، وإنما ينفون أيضا جميع الإنجازات التي رافقت هذا الإنجاز وترتبت عنه، وذلك باسم نبوءة مسيانية واسعة، على نحو متطرف.

بيريس في مستوطنة معليه أدوميم أواسط السبعينيات.

على جهاز أمني قوي، على مؤسسات حكومية فاعلة، على اقتصاد متين وعلى ثقافة محلية حية وحيوية. وإذا لم يكن في الإمكان تحقيق الصهيونية من دون السيطرة والحضور الإسرائيليين الظاهريين، المرئيين بصورة بارزة، على «جبل الهيكل»، فمعنى ذلك أن مصطلح الصهيونية يصبح فارغا من أي مضمون حقيقي. قادة اليمين أنفسهم الذين يحذرون من البراغماتية في «جبل الهيكل» يقزّمون ويُلغون إنجاز الصهيونية الأكبر ـ دولة إسرائيل المستقلة والسيادية.

وثمة ادعاء مواز يتصل بالعلاقة ما بين التقاليد الدينية اليهودية و«جبل الهيكل». من جهة أولى، الموقع الدقيق لمعبد الهيكل هو، حقا، الأكثر قدسية بين الأماكن المقدسة في اليهودية، بالمفهوم الديني ـ القانوني وبالمفهوم الرمزي على حد سواء. وتقر الشريعة اليهودية بأن قدسية الجبل لا تبطل أبداً، خلافا لقدسية مواقع أخرى ذات قيمة دينية معروفة. كما تضع الشريعة اليهودية، أيضا، قيودا مشددة جدا على الوصول إلى موقع المعبد على «جبل الهيكل»، نظرا لقدسيته. ثلاث مرات كل يوم، يكرر المصلي اليهودي أمنية الخلاص، ثم بصورة أكثر صراحة أمنية إقامة المعبد واستئناف التعبّد فيه. وأكثر من هذا، ثمة في جدول أيام الذكرى اليهودية ثلاثة أيام من الصيام المكرّس للتعذيب والتأسي على خراب الهيكل

تقوم اليهودية اليوم على الإيمان بأن العلاقة ما بين الإنسان وربّه ليست مشروطة بمكان جغرافي. وإذا ما تحولت نقطة جغرافية معينة إلى محطة إرسال مفضَّلَة للعلاقة مع الرب، فمعنى ذلك دفع عبادة الرب المعروفة لدى اليهود المتدينين جانباً وتهميشها. الصلاة في الكنيس، مثلا، ستغدو فعلاً رمزيا، استعارة أو ظلا باهتا للعبادة الحقيقية كما تجري في المعبد.

في الماضي البعيد. اليهودية الحاخامية (أو «اليهودية»، كما تسمى اليوم ببساطة) تضع في مكانة متميزة، إذن، كلاً من معبد الهيكل، عبادة الرب التي جرت فيه وكذلك الجبل الذي بُني عليه. وتنعكس هذه المكانة في الصلوات، في عقيدة السر اليهودية، في الشريعة وحتى في العادات والتقاليد اليومية. فالمعبد، وكذلك الجبل، كلاهما يشكلان جزءا لا يتجزأ من جدول الأعمال اليومي الروتيني لأي يهودي متدين. ولكن، بهذا ينتهي الأمر كله.

بمعنى أكثر عمقاً وجوهريةً، تبدو الصورة مغايرة تماما. فقد تطورت اليهودية، كما نعرفها، بعد خراب الهيكل في سنة ٧٠ قبل الميلاد. هذه اليهودية، بطبيعتها وتكوينها، بعيدة تماما عن فكرة المعبد اليهودي الفعال. ومن أجل تمكين اليهودية من البقاء حتى بدون موقع عباداتي مركزي، اضطر الحكماء إلى إجراء بعض الثورات القاعدية في البنى الأساسية للدين اليهودي، كان في محورها ثلاثة تبديلات مركزية. الأول ـ استبدل الحكماء طَقس تقديم الأضاحي الذي كان مرهونا بمكان محدد وجرى في معبد فقط ومرهونا بوجود عارضة لأن الكهنة فقط كانوا مؤهلين لتنفيذ الطقس، بـالـ «عبادة في القلب»، أي الصلاة، التي يمكن لأي رجل أو امرأة تأديتها في أي مكان وفي أي زمان. الثاني ـ استبدل الحكماء الكهنةَ ـ القديسين الذين اختيروا بمنهج التوريث العائلي على قاعدة الانتماء الجيني (الوراثي) ـ وأحلّوا مكانهم تلامذةَ الحكماء باعتبارهم قديسين. وقد أتاح هذا النموذج عملية دمقرطة دراماتيكية في الموقف من النخبة الدينية والتعامل معها، إذ أصبح المعيار هو مدى التفوق العقلي، بدلا من اعتبارات الانتماء العائلي. والأهمّ من هذا، تم في اليهودية التي وُلدت من المشناه والتلمود، والتي هي يهودية زماننا المعاصر، تغيير موقع حصول الوحي الإلهي من مكان مادي ـ حقيقي إلى مكان نَصّيّ واستُبدل المعبد بالتوراة. وخلافا للهيكل (المعبد) المحروق والمدمَّر، أتاحت التوراة لأي شخص (ذكرا كان أم أنثى) سماع كلام الرب في أي مكان وأي زمان. وعلى هذا، في الوقت الذي كان فيه «جبل الهيكل» ولا يزال، طبقا للشريعة اليهودية، منطقة لا يجوز الدخول إليها بحرّية ودونما شروط، بل بتقييدات وقيود مختلفة، لم يعد معبد الهيكل في حد ذاته مركّباً حيويا وشرطاً لتحقيق وجود يهودي حقيقي وذي معنى. وقد يقول البعض إنه لا يمكن للمعبد أن يتعايش مع وجود كهذا، أصلا.

تقوم اليهودية اليوم على الإيمان بأن العلاقة ما بين الإنسان وربّه ليست مشروطة بمكان جغرافي. وإذا ما تحولت نقطة جغرافية معينة إلى محطة إرسال مفضَّلَة للعلاقة مع الرب، فمعنى ذلك دفع عبادة الرب المعروفة لدى اليهود المتدينين جانباً وتهميشها. الصلاة في الكنيس، مثلا، ستغدو فعلاً رمزيا، استعارة أو ظلا باهتا للعبادة الحقيقية كما تجري في المعبد. أما تعليم التوراة وتفسيرها فسيتوقفان عن كونهما المكان الذي يبحث فيه اليهود عن كلام الرب الموحى. سيكون من شأن المعبد الجديد تقييد الرب اليهودي وحصره في مكان واحد فقط، على أن لا يكون الوصل إليه متاحا إلا من خلال وساطة طبقة من الكهنة الآدميين. وعليه، فإن الادعاء بأن بناء معبد الهيكل الثالث يشكل تحقيقا كاملا وتاما لليهودية إنما يعكس توتراً عميقاً مع الصورة التي تبلور عليها نمط الحياة اليومية وسلم القيم اليهودية خلال الألفي سنة الأخيرة.

ح. تلخيص

شكّل ظهور الصهيونية مؤشراً على بداية فصل جديد في تاريخ الشعب اليهودي، في مركزه التحقيق القومي للهوية الجمعية اليهودية. وكما بيّن بحثُنا أعلاه، فقد ولّدت الصهيونية، التي اعتُبرت بمثابة ثورة قومية علمانية، توترات عميقة بل تناقضات، في منطقة

شكّل ظهور الصهيونية مؤشراً على بداية فصل جديد في تاريخ الشعب اليهودي، في مركزه التحقيق القومي للهوية الجمعية اليهودية. وكما بيّن بحثُنا أعلاه، فقد ولّدت الصهيونية، التي اعتُبرت بمثابة ثورة قومية علمانية، توترات عميقة بل تناقضات، في منطقة التماس ما بين القومية العلمانية والمسيانية الدينية.

التماس ما بين القومية العلمانية والمسيانية الدينية. ذلك أنه في الوقت الذي تمردت في الحركة الصهيونية على السلبية السياسية التي ميّزت التقاليد اليهودية الدينية على مدى أجيال، فقد تبنت أيضا الفاعلية التي كانت متوطنة في تطلعات التراث اليهودي المسيانية. وبذلك، لم يختف المبدأ المسياني الديني، وإنما تم «تأميمه» فقط وبقي قائما، بل وتعزز تحت ستار دقيق من العلمنة. في تلك السنوات ذاتها، نجحت الصهيونية الدينية في وضع وترسيم حدود حقيقية للمركّب المسياني في داخل الصهيونية. غير أن التوجهات «المُطبِّعة» في داخل الصهيونية لم تحظ بموقع الصدارة والريادة. وقد تم استغلال جدلية العلمانية المسيانية هذه، حتى النهاية، من قبل الصهيونية الدينية المسيانية التي قادت مشروع الاستيطان في فترة ما بعد ١٩٦٧ ، وسط تظهير واضح وواعٍ للمكوّن المسياني، بينما هي تعرض ـ وتعتبر ـ ذاتها بمثابة الوريث الطبيعي للمشروع الطلائعي العلماني. ولكن، حتى في الوقت الذي انشغلت فيه، بصورة فاعلة نشطة، بفرض الوقائع الميدانية في الأراضي التي جرى احتلالها في حرب الأيام الستة، تجنبت قيادة اليمين الديني المسياني، باستمرار وعلى الدوام، إيصال النهاية المسيانية إلى حدّها الأقصى، المتمثل في"جبل الهيكل" وإقامة معبد الهيكل. ومع ذلك، وبالرغم من تراجع الجناح المسياني في إطار التيار اليميني الديني، إلا أن بعضا من أفكاره ومعتقداته المسيانية قد أفلحت في التغلغل إلى قلب أوساط أخرى من اليمين السياسي.

موضوعة الوجود اليهودي على «جبل الهيكل» تبنتها مجموعة واسعة من قادة اليمين، المتدينين والعلمانيين على حد سواء، وثمة جهود واضحة تبذلها هذه العناصر لتهيئة الرأي العام الإسرائيلي ودفعه إلى وضع «جبل الهيكل» جزءا لا يتجزأ من الوعي القومي الراهن. وأودّ أن أختم مقالتي هذه بالاقتراح التالي: نظراً لأن «جبل الهيكل» يمثل نقطة التلاشي التي تلتقي فيها الحركة الصهيونية، بكل تياراتها المختلفة، بالمعتقدات المسيانية المختلفة التي تتفاعل تحت سطحها، فمن الممكن أن يشكل النقاش حول «جبل الهيكل»، إذن، نقطة تحول تمكّن الصهيونية العلمانية من التغلب على تعقيداتها المسيانية والتخلص منها، ثم التوجه (ربما للمرة الأولى في تاريخها) نحو مسار تطبيع الوجود اليهودي. وقد يصبح النقاش حول «جبل الهيكل» خطاً أحمر مبدئياً يفصل بين الذين يكتفون بمنجزات المشروع الصهيوني كما هو، من جهة ، وبين الذين يسعون إلى تحقيق منطقه المسياني حتى حدّه الأقصى، الأكثر تدميراً. وإذا ما حققت هذه السيرورة مبتغاها، فستكون لها إسقاطات بعيدة الأثر على قضايا أخرى إضافية، مثل مستقبل الاحتلال، مساواة الفلسطينيين مواطني إسرائيل وحتى فصل الدين عن الدولة.

(عن العبرية/ ترجمة سليم سلامة)

مراجع:

- أفنيري، شلومو، ١٩٨٦. «مثالية هرتسل الصهيونية: الحلم وانكساره». كاتيدرا ٤٠، ص. ١٨٩ ـ ٢٠٠.
- أوحانا، دافيد، ٢٠٠٣. مسيانية ورسمية: بين بن غوريون والمثقفين، بين النبوءة السياسية واللاهوت السياسي (الحزبي). سديه بوكير: منشورات جامعة بن غوريون.
- إحاد هعام، ١٩٠٧. "على خطى مسيح". هشيلاح، المجلد ١٦، الكراسة ب (آذار، ١٩٠٧).
- ألموغ، شموئيل، ١٩٨٣. "المسيانية كتحدٍّ للصهيونية"؛ في تسفي برس (محرر): المسيانية والآخرويّات: مجموعة مقالات. القدس: مركز زلمان شزار، ص ٤٣٣ ـ ٤٣٨.
- أران، غدعون، ٢٠١٣. كوكيزم: جذور غوش إيمونيم، ثقافة المستوطنين، اللاهوت الصهيوني، المسيانية في عصرنا. كرمل.
- بيغن، مناحيم، «خطاب الافتتاح في مرتمر حيروت»، ١٩٦٩/٨/١٥، متوفر في الرابط (شوهد في ٢٠١٦/٩/١٥):

http://db.begincenter.org.il/he-il/selected-quotes.htm?cid=2603

- غرينبرغ، أوري تسفي، «ضحية الفجر»، في مجموعته الكاملة، المجلد ١١: برسم الزمان والمكان، القدس: مؤسسة بياليك، ١٩٩١ ـ ٢٠١٦.
- وولفسبيرغ، يشعياهو، ١٩٥٢. "همزراحي وموقفه حيال الأرثوذكسية غير الصهيونية»؛ في يوفال همزراحي (محرر): مجموعة توراتية، علمية، أدبية لمناسبة الذكرى الخمسين للمزراحي. ي. ل. هكوهين (محرر)، القدس: منظمة «عزرا ـ نحميا" في هستدروت همزراحي، مؤسسة الحاخام كوك، ص. ٢٥٦ ـ ٢٦٧.
- حيفر، حنان، ١٩٩٦. في إسار اليوتوبيا: عن المسيانية والسياسة في الشعر العبري في أرض إسرائيل بين الحربين العالميتين، سديه بوكير: جامعة بن غوريون في النقب.
- يانوفسكي، روعي، «دانينو: "جبل الهيكل" هو خطر وجودي على دولة إسرائيل»، YNET, ٢٠١٥/١/١٤، متوفر في الرابط (شوهد للمرة الأخيرة في ٢٠١٦/٩/١٥):

http://www.ynet.co.il/articles/0,7340,L-4615197,00.html

- كتسنلسون، بيرل، «نحو الأيام القادمة»، في: فصول هبوعيل هتسعير، المجلد ١١، ص ١٧.
- لون، إيهود، ١٩٨٥. متقابِلون وملتَقون: الدين والقومية في الحركة الصهيونية في شرق أوروبا في بداياتها، ١٨٨٢ ـ ١٩٠٤. تل أبيب: عام عوفيد.
- فلاح، باروخ، ٢٠١٠. مجلة «سلم لفكر مملكة إسرائيل» ـ بين الشعر والسياسة. أطروحة دكتوراة، جامعة بار إيلان.
- كولت، يسرائيل، ١٩٨٣. "المسيانية كتحدٍّ للصهيونية"؛ في تسفي برس (محرر): المسيانية والآخرويّات: مجموعة مقالات. القدس: مركز زلمان شزار، ص ٤١٩ ـ ٤٣١.
- راز كركوتسكين، أمنون، ٢٠٠٢. «بين «بريت شالوم» وبين معبد الهيكل: جدلية الخلاص والمسيانية على خطى غرشوم شالوم». تيئوريا وبيكورت (نظرية ونقد) ٢٠، ص ٨٧ ـ ١١٢.
- راينس، إسحق يعقوب، ١٨٩٩. شعاري أوراه وسمحا. فيلنائي: رام.
- راينس، إسحق يعقوب، ١٩٠٢. نور جديد على صهيون. فيلنائي: رام.
- شالوم، غرشوم، ١٩٧٦. «فكرة الخلاص في القبالاه"، في: كلام ذو معنى، فصول في التراث والانبعاث. تل أبيب: عام عوفيد.
- شالوم، غرشوم، ١٩٧٦. «الفكرة المسيانية في إسرائيل»، في: كلام ذو معنى، فصول في التراث والانبعاث، تل أبيب: عام عوفيد، ١٩٧٦.
- شلمون، يوسف، ٢٠٠٦. إن توقظوا وإن تستيقظوا: الأرثوذكسية في شباك القومية، القدس: مركز زلمان شزار لتاريخ إسرائيل.
- شبيرا، أنيتا، ٢٠٠٨. «يوتوبيا». زمانيم (أزمان) ١٠٣، ص ٢٨ ـ ٣٧.
- شبيرا، أنيتا، ١٩٩٤. «الموتيفات الدينية في حركة العمل»، في: شموئيل ألموغ، يهودا راينهيرتس، أنيتا شبيرا (محررون)، الصهيونية والدين. القدس: مركز زلمان شزار، ١٩٩٤. ص. ٣٠١–٣٢٧
- شبيرا، أنيتا، ١٩٨٨. «الصهيونية والمسيانية السياسية»، في: السير على خط الأفق. تل أبيب: عام عوفيد، ص ١١ ـ ٢٢.
- شبيرا، يوناتان، ١٩٨٩. للحُكم اخترتَنا: طريق حركة حيروت ـ تفسير سوسيولوجي ـ سياسي. تل أبيب: عام عوفيد.

Shachar, Yoram (2009). "Jefferson goes east: The American origins of the Israeli declaration of independence." Theoretical Inquiries in Law 10.2: 589-618.

الهوامش

١ شكلت هذه المسألة موضوعاً لسلسلة من الدراسات، من بينها: ألموغ، المسيانية كتحدٍّ؛ كوات، الصهيونية والمسيانية؛ شبيرا، الصهيونية والمسيانية؛ حيفر، في إسار اليوتوبيا؛ راز كركوتسكين ٢٠٠٢.

٢ غرشوم شالوم، الفكرة المسيانية، ص XXX.

٣ وهو كشف لا يمثل في نظر أنصار هذا التيار إلا الكشف عن الطابع الحقيقي والأصيل لهذه المؤسسات والحيزات.

٤ شالوم، فكرة الخلاص في القابلاه، ص ١٩٧. ويضيف شالوم: هناك أساسان اثنان لهذا الفهم المسياني: "تحرير بقوة وحي إلهي جديد علينا أن نتمناه، إنشاء عالم جديد يستحيل، إطلاقا، ربطه بعالمنا نحن". وأنا أعتقد بأن هذين الأساسين ينتميان إلى المسيانية من النوع الأول تحديدا.

٥ لوز، متوازيات ملتقية، شلمون، إن توقظوا.

٦ ليس غريبا أن يكون اليهود المتدينون أنفسهم الذين اختاروا الانضمام إلى الحركة الصهيونية ليس فقط أقلية في مجتمع الملتزمين بالفرائض، وإنما اضطروا أيضا إلى تبرير انضمامهم إلى الحركة العلمانية الفتية، وأنظروا: فولفسبرغ، المشرقي وموقفه، عميك ريسف.

٧ وهذا بالرغم من البُعد اليوتوبيّ القويّ في نتاجه. وانظروا: أفنيري، ١٩٨٦، ص ٢٠٠؛ شبيرا ٢٠٠٨، ص ٣٠.

٨ سعى بعض المفكرين مثل بار بوروخوف، أ. د. غوردون وموشي هس، كل بطريقته، إلى تجسيد المشروع الصهيوني في مجتمع اشتراكي راق يُضرب به المثل. وأنا أعتقد بأنه ينبغي، لهذا السبب، تصنيفهم ضمن التيار غير الطبيعي، لكنني أرغب في التوسع في هذا الموضوع في مكان آخر.

٩ أنظروا بتويع، أوحانا، مسيانية ورسمية، ص XXX.

١٠ شبيرا، الموتيفات الدينية، ص ٣١٥.

١١ أنظروا، مثلا، غرينبرغ، «أضحية الفجر»، حيث يعبر الشاعر عن طموحه بأن يكون هو نفسه أضحية، في إطار الصراع لإعادة الشعائر العباداتية وتجديدها.

١٢ نشر شايب على مدى سنوات عديدة ١٤٧ عدداً من مجلة اسمها «سلم: مجلة لدراسات ملكوت إسرائيل»؛ وكان بيغن يكثر من الاشتغال بمسألة نبوءة العودة إلى «جبل الهيكل»، وإن بمعزل عن المركّب الملكيّ. وانظروا، مثلا، بيغن، خطاب افتتاح: «لأن مُحرّري يهودا ومخلّصي إسرائيل سيعودون إلى «جبل الهيكل»، وسيرفعون علَمَنا على برج داوود. بالدم والنار سقطت البلدة القديمة ـ بالدم والنار ستقوم البلدة القديمة وستكون لنا إلى أبد الآبدين».

١٣ إحاد هعام، «في إثر المسيح».

١٤ كتسنلسون، على عتبة الأيام القادمة.

١٥ بن غوريون، نبوءة وطريق ج، ص ١٨. مقتَبَس لدى أوحانا، مسيانية ورسمية، ص ٥٧.

١٦ رغم ذلك، قلت ليس كي أقوم بالواجب فقط بإلغاء الجوانب السلبية، وإنما لإظهار الجانب الديني الإيجابي أيضا القائم في الحركة الصهيونية ولإثبات إنه من الوجهة الدينية، علينا واجب بذل الجهد من أجل إخراجها وتطبيقها، لأن تحقق الأمور الدينية منوط بها أيضا، على أن هذه الحركة ستحقق لنا الكثير من الإصلاحات الدينية أيضا. (هناك: ٢٨).

١٧ أنظروا راينس، نور جديد، ص ١٨، ٩٨.

١٨ راينس، شعاري أورا، ص ١٣.

١٩ مسألة وجهة نظر راينس بالنسبة للعلاقة بين الصهيونية والخلاص هي مسألة خلافية. للاطلاع على موقف معاكس للموقف الذي يعبر عنه هذا المقال، أنظروا شبيرا، ٢٠٠٣، ٤٠٠، الذي يدعي بأن الحاخام راينس بالذات ربط الصهيونية بالخلاص، لكنه اعتمد لغة معلمنة في ما يتعلق بالصهيونية كموقف اعتذاري في مواجهة المعارضة الحريدية. وأنظروا أيضا أقوال شفارتس، ١٩٩٨، ص ٥٥، وخاصة في ص ٥٧، إذ يدعي بوجود مسيانية خالصة، لكن مواربة، لدى راينس. وفي مقابلهم، يعرض هلينغر، ٢٠٠١، موقفا وسطيا يعتبر موقف راينس موقفا مركّباً يشمل مقومات مسيانية دينية حيال الحركة الصهيونية، ولكن مقومات براغماتية أيضا. وهو يصف هذا الموقف بأنه «مسيانية معتدلة» (هناك، ٣٦٥). ولتلخيص المواقف المختلفة في هذا النقاش، أنظروا هلينغر، هناك، ٣٥٦ ـ ٣٦٠.

٢٠ هداري، ٢٠٠٣، ٢٥٩ ـ ٣٢١، يتطرق إلى تقديس الحرب وإلى الخطاب العدواني في داخل حركة العمل في تلك الأيام ويبيّن إلى أي مدى كان الخطاب الصهيوني الديني في تلك الأيام مختلفا ومتميزا عن نشوة القوة العلمانية.

٢١ . أمنون راز كركوتسكين، ٢٠٠٢، ص ٨٨.

٢٢ حنان بورات، مقابلة مع غدعون أران، وأنظروا هناك أيضا: «تورتنا كاملة، ليست انتقائية، مجزوءة، شتاتية أو فئوية. إنها تخص الجماعة، الدولة، وليس الفرد وحده فقط، وينبغي تطبيقها بكليّتها في زماننا أيضا ـ إنشاء نظام اليوبيل والشميتا، إقامة السنهدرين والهيكل، مباركة البحر والنهر وإعلان الصوم على موسم المحل. واستمرارا لذلك، يجب أن نعترف أيضا بأن حرب الأيام الستة هي بمثابة أعجوبة وجميع قرارات الحكومة هي شأن ديني أيضا، له دلالة داخلية».

٢٣ في الوثيقة التأسيسية لحركة غوش إيمونيم (أران، ٢٠١٣: ١٦)، التي تأسست بعد حرب يوم الغفران عام ١٩٧٣، تم تعريف توجه الحركة الجديدة على النحو التالي: «تجديد انطلاقة تحقيق القيم التي تشكل قاعدة الأساس في الصهيونية: الهجرة والاستيعاب، الاستيطان والبناء، الاستقلال والسيادة الكاملة في أرض إسرائيل. في هذه الأفكار، بحد ذاتها، ليس ثمة أي تجديد، لكن في مجرد النية لإحياء التحقيق الصهيوني بمعناه الحقيقي ينبض ويتوقد أساس إضافي آخر ـ الحاجة إلى تعميق وكشف الجذور اليهودية الجوهرية كمصدر للحياة وكموطن ومنشأ لمجمل الفكرة الصهيونية، الحاجة إلى توضيح وتبيان من هو شعب إسرائيل، من أين أتى وإلى أين يمضي وما هو دوره في العالم وما هو موقع البلاد في تحقيق مبتغياته".

٢٤ في السنوات الأولى من مشروع الاستيطان، اعتبر قادة من حركة العمل أيضا المستوطنين الشبان قوة طلائعية، حتى أن التغطية الإعلامية آنذاك صوّرتهم على هذا النحو أيضا (أبراهام، ٢٠٠٢).

٢٥ غدعون أران، كوكيزم (الكوكية، نسبة إلى الحاخام كوك)، ص ١٤.

٢٦ وأنظروا، أيضا، أقوال الحاخام بيني لاو (نِكودا / نقطة، ٢٠٠٥، ٢٨٥) بعد الانفصال عن قطاع غزة: «في يوم الخميس، ٢٦ من الشهر الخامس العبري، أقيمت في باحة متجر همشبير في القدس جنازة قومية لمدفوني غوش قطيف الذين اقتُلِعوا من أرضهم وراحتهم. في طريقي إلى هناك، مررت من شارع بن يهودا. مسافة المشي ثلاث دقائق، وكأنما انتقلت إلى بلاد أخرى. ليس دولة تل أبيب مقابل دولة القدس. في مركز المدينة، في الجوار، على مسمع ومرأى. مكبرات الصوت صدحت بالمرثيات في أعلى الشارع، لكن المقاهي بقيت مفتوحة، العازفون في الشارع لم يوقفوا ألحانهم ومئات الشبان والشابات استمتعوا بأنفسهم وعلى أنفسهم. في الباحة نفسها، تجمع أبناء وبنات الصهيونية الدينية، ولم يكن أي أثر تقريبا لليهود الحريديم. ولم يكن أي أثر تقريبا، أيضا، للجمهور العلماني. "جنازة فئوية" لمجموعة تثق بأنها مبعوثة جمهور، غير أن الجمهور لا يعرف ذلك. إنها مجرد حالة عابرة واحدة من شعور آخذ في التراكم خلال الأشهر الأخيرة. الصراع على الاستيطان في أرض إسرائيل حول إلى قضية فئوية. مَن يصارع من أجل أرض إسرائيل أصبح يشكل خطرا يهدد دولة إسرائيل الحرة، الديمقراطية والإنسانوية. كأن سكان غوش قطيف لم يُرسَلوا إلى

هناك من قلب قلب الإجماع الإسرائيلي، بل أرسِلوا من فضاء الجمهور المسياني الموهوم. ماذا يعتقد الجالس في الشارع إياه. حياتهم ـ ليست حياتي، موتاهم ـ ليسوا موتاي، حلمهم ـ ليس حلمي».

٢٧ راز كركوتسكين، ٢٠٠٢، ص ٩٢.

٢٨ هناك، ٩٨.

٢٩ عن التحول في مكانة «جبل الهيكل» في الصهيونية الدينية، أنظروا بريسكو، ٢٠١٤. يؤكد بريسكو أن المسيانية الترويعية لدى «أمناء جبل الهيكل» تختلف عن مسيانية غوش إيمونيم التي أبقت جبل الهكل خارج المجال. هذ التمييز كان صحيحا في الماضي وهي أقل صحة الآن في أعقاب تكرس النقاش حول «جبل الهيكل» في أوساط التيار المركزي في الصهيونية الدينية، بل وفي أوساط اليمين غير الملتزم بتأدية الشعائر الدينية. http://www.haaretz.co.il/magazine/the-edge/.premium-1.2483964

٣٠ ابراهام شطيرن، أسس الانبعاث، دستور «ليحي»، وانظروا أيضا باروخ فلاح، مجلة.

٣١ أنظروا شبيرا، للسلطة اخترتَنا، هكيدما (التقدم).

٣٢ أنظروا، مثلا، أقوال المفتش العام للشرطة يوحنان دانينو: "إنكم تشعلون هنا ليس فقط دولة إسرائيل وليس فقط الشرق الأوسط، وإنما كل العالم الإسلامي ـ مليار إنسان. على ماذا؟ فليس ثمة أي أمل في أن نقوم بتغيير الوضع الراهن». يانوفسكي، دانينو.

صدر عن "مدار"